وفي وضع النظريات على حدH ا(شكلات والنتائج رحلة نقوم بها في ا(واد الدراسيةالمخصصة للنظرية الاجتماعيةG والرحلة ب منH وهيرحلة محفوفة بالمخاطر ذاتها. ذلك لأن طبيعة علم الاجتماع ليست بتلكالكيفية التي >كننا من الانتقال رأساH سواء وتدعي أنH دراسات عملية مليئة _علوماتعن الحياة الاجتماعية إلى النظرية الاجتماعية. فالنظرية الاجتماعيةبطبيعتها عامة لها صلة بكل المجالات ا(ستقلة التي يتناولهاعلماء الاجتماع. ونحن لا نستطيع الانتقال مباشرة من دراسة اتجاهاتالعمال ذلك أن أي نظرية ذات قيمة علمية يجب أنتعالج مسائل أكثر بكثير من اتجاهات العمال. وكرد فعل علىH مثلا إلى نظرية معينة ويكيلونالصاع صاعH يذود هؤلاء عن أنفسهم بالتحصن بالكبرياءH ن يرون أنفسهمأساسا كمنظّرين؟يذود الكثير H هذا ضد كل من يعاملهم باحتقار. كيف \كنإذن التعامل مع النظرية والحال هذه? ليس من ا(فيد التظاهر بأن باستطاعتناجعلG وهي أن فهم النظريةH ا هي عليه. و\كن صياغة ما قلناه بصورة أخرى؟بيد أن باستطاعتنا جعلها أسهل H النظرية سهلة مسألةتتعلق بتعلم التفكير نظريا أكثر منها بتعلم النظريات ذاتها. و\كن تشبيههذا الأسلوب من التعلم بتعلم لغة جديدة بطريقة ـا عنطريق سماع اللغة وهي تتداولqوإH أي ليسبطريقة تحصيل الكلمات تدريجيا وتعلم مختلف قواعد النحوH بالغة الصعوبة وعاميتها وما إلى ذلك. فا(شكلات التي تدفع البشر إلىالنظرية هي ـ كما قلت أعلاه ـHولهجاتهاH بكل تعقيداتهاH في أفواه أهلها مشكلات نواجهها جميعا في حياتنا اليومية. وحقيقة الأمر ـ كما أعتقد ـ هي أننا جميعا نفكر نظريا بطريقة نحن لسناعلى وعي بها ما هي ا(شكلات التي نقوم جميعا من خلال الاستجابة لها بالتفكيرنظريا دون أن نعي ذلك? إن معظمنا يتأثر بطريقةH غالبا. إذن فبعضها يقعفجأة وأخرى تكون بداياتهاH ما بالأحداث التي هيخارج نطاق إرادتنا والتي لا تكون أسبابها واضحة للعيان أوH أو أن لا يقبل في الجامعة أو إحدى الكليات العلمية كما كانيتوقعH كأن يفقد أحد أفرادالأسرة عملهH متدرجة لا تلفت النظر أو أنH أوبسبب السياسة الاقتصادية للحكومة ا(ركزية أو المحليةH أن تتوقف بعض الخدمات والبضائع فجأة من جراء إضراب ةقيمها الأساسية أكثر فأكثر مع تقادمHومكافآت ا(نح الدراسيG تفقد الأجوروعائدات الضمان الاجتماعي وإعانات العاطل أو قدألجأ إلى تجربة صديق حميم لي وجد نفسه في ا(أزق ذاتهH الوقت. قد ألجأ حينئذ إلى تجربة سابقة لي بصفتها مرجعي الأول فأبحث عنا(لامح ا(شتركة في هذا الوضع: لعل الأمر يعود إلى ضغوط الوظيفة; وإذا أخافتني هذه التجربة أكثر وكنت بحاجةH فقد أعزو ا(شكلة إلى تصرّفات معينةتقوم بها زوجتي في علاقتنا الحميمة. إذ تظهرH إلى إلقاءاللوم على كاهل شخص آخر غيري لكن هذا العامل عند ماركس يخضع للاستغلالH عندنا في عملية إقامة ور_ا اعتقد العامل أنه يقبض أجرا عادلا عن عملهفي اليوم إن بإمكاننا أن نجعل النظرية أسهل ولكنH ا(نظم. وهذا بحد ذاتهيكفي لقبول الغرابة الظاهرة للنظرية الاجتماعية. لقد قلت أعلاه أن نتتبع جذور النظرياتا(عروضة في هذا الكتاب وإرجاعها إلىH على سبيل ا(ثالH لا \كننا أننجعلها سهلة. فمن المحال ولتطور ا(عرفة قبل أنتظهر النظرية التيH فهذه ا(شكلاتقد أخضعت سابقا لقرون من التفكير الفلسفيH ا(شكلات اليومية وكما قال أحدH وحتى لو كانذلك مستترا تتحدث عنها بتجريد. إن كل الدراسات التي ناقشها مارشال تعتمد على النظرية إن لم تجر بعض المحاولاتللتوصلH إن علم الاجتماع سيبقىمجرد وسيلة إمبريقية مساعدة لعلوم أخرىH مراجعي الكتاب بعزلها بشكل مناسب في أوضاعH إلى إطار نظري عام. ويتمثل النشاط العلمي هنا في محاولة معالجة مظاهرمعينة للعالم الطبيعي لن نتعلم الكثير عن رد فعلي إزاء العجز الجنسيبإلصاق علامةH لتنطبقعلى النموذج الإرشادى. فنحن على سبيل ا(ثالH تجريبية من الناحيةG وأن نبH كيف أن طبيعةالأبويةتحدد عجزي ورد فعلي نحوه من ناحيةG إذ علينا أن نبH »الأبوية« على حالتي الثانية كيفأن هذه العمليات تتفاعل مع عمليات أخرى (مثل تغير سوق العمل الذيأعطى النساء فرصة أكبر للاستقلال بوظائف أو أنها ضعيفةH وذلك من أجلأن نفهم ا(وقف بكل تعقيداته. غير أن الكثيرمن هذه ا(شكلات لا توجد لها حلول)H خاصة بهن وأنا أعرف من تجربتي الشخصيةأن التعامل معها يجلب الكثيرH لكنها مع ذلك قضايا مثيرة ومشوقةH الصلة _ا نحاول أننفعله مثل تلك ا(تعة التي يجلبها حل لعبةالألغاز الصعبة التي تظهر في بعض الأحيان في صحف يوم الأحد الرزينة. وأنا أرىH من ا(تعة فضلاH ليس لأي منها نفعملموس للتحليل الاجتماعيH أن بالإمكان الوصولإلى حلول تبدو عليها الأناقة في كلا طرفي المحاورة فإنH إلى الترتيب ا(نطقيH أن النظرية يجب أنتسعى إلى الترابط الداخليG عن كونها حلولا غير حاسمة. وهذا يعني أنه في ح فإن النظرية يجب أن تكون قادرةHوبالتاليH العالم ذاته كثيرا مالا يكون منطقيا أو هو منطقي بصورة أخرى مختلفة عن النظرية على الاعتراف بهذا الاختلاف والتباين. وما أبتغيه الآن هو أن أنظر بعض الوقت في نطاقالنظريات التي يتعامل معها علماء وفي كيفيةتنظيم تلك النظريات بطريقة تسهلها على الفهمH الاجتماع حاليا ويتداولونها.

Summarized by © lakhasly.com